وعلم آدم الاسماء

تحت هذا العنوان قرأت في مقتطف يوليو سنة ١٩٤٥ الأخير رد الدكتور توفيق صايغ سليط على مقالي الدكتور احمد زكي بك في الهلال في اللغات التي تصلح أو لا تصلح أن تكون واسطة تفاهم بين الشعوب جميعها .

أنا لم يسعدني الحظ بالاطلاع على مقالي الدكتور زكي بك ولكن يفهم من الرد المشار إليه بأنه يفضل اللغة الانكليزية على غيرها رغم صعوبتها الشاقة وشذوذها — ولا أقول الكثير إذ ما هي إلاّ شذوذ بشذوذ — ويدعو الى المناداة بها لغة عالمية . وله لتأييد دعوته هذه ولا شك حجج وبراهين .

فيعارضه الدكتور سليط ويسعى جهده لحمله على مبايعة اللغة التركية معدداً مناقبها وحسناتها دون أن يعثر أو يشاء أن يعثر بسيئة لها أو عورة .

وقد يتقدم غداً الكثيرون — أو قد تقدموا — وكل يدلل باللغة التي يمتلك زمامها ويتعشقها ويدعو الى تتويجها ملكة على كل اللغات كما أتقدم أنا الآن — ولي المام بسيط ببعض اللغات — لأقول :

البحث شائق جليل ومقاصد الدكتورين سامية نبيلة لشدة احتياج العالم الى لغة عامة يتفاهم بها . ولكن رغم هذا الجلال وهذا النبل وهذه الحاجة الماسة فلا أمل باتفاق العالم على الأخذ بلغة طبعت بطابع أمة ما وجعلها عالمية ولو كانت هذه اللغة من الفصاحة والبلاغة والسهولة والضبط في الذروة . ولذلك أسباب قد يحسبها البعض سخيفة واهية ويعدها البعض الآخر قيمة معقولة . ومثل ذلك مثل الجملة المترية على ما بينها وبين اللغة من البون الشاسع .

ألا تروا كيف أن بعض الأمم تحجم وتترفع عن الأخذ بالجملة المترية هذه وهي على

ما هي عليه من الاتقان والابداع والسهولة ؟ ولماذا ؟ أترك الجواب لكل حسب استنتاجه وأسأل :

أفي الأخذ بها شر أو عار وهي تفوق غيرها من نوعها ؟ .

أمن خوف على الآخذين بها من التخلق بأخلاق موجديها ولا سيما فلسفية تصبغها أو رائحة نظرية اجتماعية تنبعث منها ؟ إذ ما هي إلاّ أدوات جامدة باردة مبنية على حقائق علمية رياضية مشاع للجميع .

أما اللغة فهي خلاف ذلك إذ هي صورة الأمة التي تكلمها وروحها الخفيف الظل أو ثقيله لأنها جبلة من أخلاقها ونسيج من شعورها وتحسسها . وهي مقياس رقيها وانحطاطها ومظهر من مظاهر سلطتها وسطوتها .

أيمكننا والحالة هذه أن نأمل إتفاق العالم على اتخاذ لغة أمة ما وجعلها عالمية ؟ .

أليس بذلك اعتراف صارخ بأنها أرق وأفضل وأسهل وأوفى و . . . و . . . من غيرها ؟

أليس بذلك الشيء الكثير من النفع والفضل للأمة التي تحسن على العالم بلغتها ؟

أليس بذلك جعل هذه الأمة مطمح الأنظار ومغويها المرجع الأعلى — ولو الى أمد قصير — عند الاشكال فيما يتعلق بهذه اللغة ؟

أليس بذلك شيء من التخلق بأخلاق هذه الامة ولو كان أثره ضئيلاً ؟ .

***

قد يعترض أحدهم بأن ما هذا إلاّ وهم وغلوّ ويندد بالمكابرة والتعنت ويدعو الى نبذها وإلى الاقرار بالافضل ولو كان لعدوّنا . ويجهد نفسه كي يبرهن أن لا حاجة لنا بالاخذ بروح اللغة وآدابها بل بها كل كلماتها الباردة . وكل أمة تنفخ فيها من روحها فتنعشها وتحييها دون أن تغير من معانيها .

انها لنظرة قد يراها بعض الناس جميلة فيقرها ويراها البعض الآخر قبيحة فينبذها . وللناس في الناس نظرات ومظنون .

فالأقرب الى الصواب إذن والأسهل مثالاً هو الأخذ بالاسبرنتو لأنها لم توسم بطابع وطني ما ولم تتخلق بأخلاق إحدى الأمم ولأنها سهلة لا شذوذ فيها ولا تعقد فيتباعا العالم

ويعطف عليها ويتقدم لها اللغويون غذاءها من خير ما تفيض به أدمغتهم فتنمو وتزدهر وتغمر العالم بظلها الوارف .

وقد اعترض عليها الدكتور سليط في رده الذي أشرنا اليه بأنها قاصرة عن القيام بالغاية المنفردة ويحتاج صقلها الى مئات السنين . فأجيبه بأن قصورها هذا لهو من خير مؤهلاتها لتكون اللغة المطلوبة اذ تبتلع بشره وتهضم بسهولة كل ما يقدم اليها من الكلمات المنتقاة بنزاهة وعفة .

ولا يحتاج الى الوقت الطويل — كما يتوهم البعض — في تجهيز هذه اللغة واعدادها لتكون كافية وافية بالغرض المطلوب اذا ما صفت نيات الدول وقامت قومة واحدة الى انشاء مؤسسة عامة يرسل اليها من جميع أنحاء العالم بأوسع اللغويين اطلاعاً وأقومهم أخلاقاً وأسمهم مقاصداً وأكثرهم حبّاً للسلام والتعاون . وليكن لدول المحور نصيبها في هذا العمل الخطير ليكون النفع أعم ، والغاية أسمى ، لا تصورها هائبة حقد ، أو عداوة . لا أن يقوم بذلك بضعة من الرجال تعد على أصابع اليد الواحدة كما يفعلون أحياناً بمقدرات العالم .

وفي عملهم هذا من الغبن والاجحاف ما لا يعمى عنه ذو بصيرة وإن تعامت عنه — لأمر ما — دول الأرض قاطبة . ويجب الحذر من السياسيين والدبلوماسيين والحيلولة بينهم وبين هذه المؤسسة اذا ما كان يرغب حقّاً في نجاحها .

وعلى هذه المؤسسة أن تختار أفضل الكلمات وأنسبها دون ما نظر الى وطن أو اقليم أو دولة تعضد هذه الكلمة أو تقاوم تلك .

***

واللغة مهما كان لها من فوائد وحسنات فهي غير كفيلة وحدها بمنع الحروب . والحروب كثيرة بين دول تتكلم لغة واحدة . إذن يجب على هذه المؤسسة أن يكون لها هدف ثان أسمى من اعداد لغة عالمية ألا وهو توحيد التعليم والثقافة بكتب واحدة وبلغة واحدة في جميع أنحاء المعمور لانشاء عقلية سليمة وان لم تكن واحدة لتعذر ذلك فعلى الأقل لتكون متشابهة متقاربة . واذا تشابهت العقليات السليمة تشابه التفكير السليم وظهر ضرورة التعاون وبدا

الحكام وروّضت العقول على الأخلاق القويمة فيسهل من دستور اقتصادي عالمي كفيل برفع مستوى المعيشة فالرفاهية فالسلام الحقيقي لا السلام المسلح القائم على رءوس الحراب وأفواه المدافع، السلام المزيف الذي يقسم الانسانية فئتين فئة قاهرة وفئة مقهورة مكبلة. وبين الفئتين هوة عميقة من الحقد والبغضاء، والويل للانسانية، عندما تتفجر مراجل الحقد والبغضاء.

ويجب أن نمنع منعاً باتّاً تدريس تواريخ الحروب وفنونها على حالتها الحاضرة والاكتفاء باظهارها بمظهرها الحقيقي الوحشي على الاجيال المقبلة ترى على كره الحروب والابتعاد عنها وتسمو عن البؤرة التي تتكمكم فيها الانسانية اليوم، بؤرة الخداع والمراوغة وانتهاكها حرمات الشعوب الآمنة، والتستر وراء براقع صفيقة من العقود والمواثيق، يقيد الضعيف بها، والقوي في حلٍّ منها، اذا لم يكن له في تنفيذها منافع ومآرب.

ويجب على جميع الدول أن تتقيد بصدق واخلاص بهذه التعاليم السامية والثقافة الموحدة وبالامتناع عن التعليم بلغاتها الخاصة فيما يتعارض مع ذلك.

وبينا ينتظر العالم بفارغ صبر من حكمائه ومصلحيه الاتفاق على الوصول الى هذه الغاية المنشودة أستحث قادة الرأي في البلدان العربية والمستعربة على انشاء مؤسسة تأخذ على عاتقها، بالاتفاق مع وزارات معارفنا واقتصادنا توحيد الثقافة والاقتصاديات في شرقنا المتنابذ، فنسير قدماً الى التعاون الحقيقي، فالاتحاد الاقتصادي والسياسي ونصير في بوتقة واحدة، فنؤلف كتلة واحدة صلبة، تتحطم عليها أنياب تعمل الآن في دمنا وعروقنا.

***

وعندما يتملص العالم — وهو صائر الى ذلك — من نير الدول المستعمرة وجشع أرباب معامل السلاح والدمار والرأسمالية المجرمة، يهون عليه القيام بهذا المشروع الجبار، مشروع اقرار لغة عالمية واحدة، وثقافة سليمة واحدة، ويكون لنا كلمة قوية واحدة، يدٌ طولى في ذلك، ورأي مسموع، وسعي مشكور والسلام

فيتوريانا — برازيل ميرميل صرايا